المخترع الصغير

دار العلم للملايين



سلسلة

عبقريات مبكرة

صدر منها

- الطبيب الصغير
- الربان الصغير
- القاضية الصغيرة
- القائد الصغير
- الرياضي الصغير
- الموسيقار الصغير
- المهندس الصغير
- الممرضة الصغيرة
- المخترع الصغير
- لاعب كرة القدم الصغير

دار العلم للملايين

المخترع الصغير



دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
صندوق البريد: ١٠٨٥
تلكس: 23166 MLAYIN LE
بيروت – لبنان ١٩٨٨

بقلم وريشة: طارق العسلي
إخراج وإشراف: المهندس طارف عثمان
تنضيد: شركة الحرف الالكتروني
تصوير وطبع: مطبعة نصر الله

١ – ربيع يحب الألعاب اليدوية

جلس «ربيع» في زاوية الحديقة أمام مِنْضَدَةٍ خشبِيَّةٍ عتيقة وقد وضع بين يديه بعض الأدوات، وكان يمسك بهيكل طائرة خشبية صغيرة قد صنعها بيده، إنه مُنْهَمِكٌ في وضع اللَّمسات الأخيرة عليها، وقد أخذ العرق يتصبب منه، بينما وقف صديقاه «عمر» و «ممدوح» أمامه وهما يحبسان أنفاسهما ويراقبان أنامله الدقيقة تعمل بخِفَّةٍ واحتراس.

لقد مضى على ربيع عدة أشهر وهو يعمل في هذا النموذج مستعيناً بإحدى المجلات المتخصصة في صناعة طائرات الأطفال...

لقد صنع حتى الآن ثلاثة نماذج أخفقت كلُّها في الطيران، وها هو الآن يكاد ينتهي من النموذج الرابع، بعد أن أدخل عليه تعديلات كثيرة، مستفيداً من تجاربه التي أخفقت...

كان جوٌّ من الرهبة يسيطر على الموقف، كما لو أنه يقوم بصنع طائرة حقيقية، وهو حقاً قد حاول أن يُتقن عمله لتصبح طائرتُه الصغيرةُ شبيهةً بالطائرات الكبيرة بعد أن قام بتلوينها فبدت وكأنها طائرة حقيقيةٌ- قَزَم (أي صغيرة الجسم).

كان ربيع فتىً في الثالثة عشرة من عمره، وهو منذ طفولته أحب اللَّعِبَ بالأدوات اليدوية، وقد شجعه والده على ذلك فكان يشتري له الألعاب التي تحتاج إلى الاستعانة بالفكر واليدين لتركيبها، لذلك نشأت معه هذه الهواية المفيدة.

وفي أحد الأيام شاهد فيلماً في التلفزيون عن سباق لنماذج الطائرات الصغيرة أقيم في إحدى الدول، فأعجبته هذه الفكرة كثيراً، وصمم على تنفيذها. وانتظر حلول الصيف ومعه العطلة المدرسية، وأخبر صديقَيْه عمر وممدوح اللَّذيْن كانا يشاركانه في هواياته العلمية فشجعاه...

لكن ربيع لم تكن لديه أية فكرة عن الطريقة التي تُصنع بها هذه الطائرات الصغيرة، لذلك لم يجد بُدًّا من الاستعانة بإحدى المجلات المتخصصة في هذا الأمر فاشترى منها نسخاً متنوعة من إحدى المكتبات وساعده مدرس مادة العلوم في ترجمتها وشجعه على هذا العمل قائلاً:

- إذا نجحت يا ربيع في صناعة طائرة صغيرة يمكنها أن تطير فعلاً... فإنه من الممكن عندما تصبح كبيراً، أن تصنع طائرة حقيقية وتساهم في تقدم العلوم والصناعة في وطنك..

ولا تنسَ أن العرب كانوا روّاداً في إجراء التجارب على الطيران.. ومن هؤلاء «عباس بن فرناس» الذي صنع لنفسه جناحين من الرّيش وحاول الطيران بهما.. إني أُشجعك على عملك هذا وأعدك بأنك إذا نجحت فسوف أقيم لك احتفالاً صغيراً في الصف وأعلن أمام الجميع أنك أولُ صانع طائرات في تاريخ المدرسة...

كان لتشجيع الأستاذ وقعٌ مهمٌ في نفس ربيع، ولذلك ما إن أقبلت العطلة الصيفية حتى سارع إلى شراء الأدوات اللاّزمة، واختار لنفسه ركناً في إحدى زوايا حديقة بيته، حيث توجد منضدةٌ قديمة مهملة فجعلها مختبراً لتجاربه التي سيجريها بمشاركة صديقيْه...

وضع ربيع الطائرة الصغيرة بهدوء على المِنضدة وقال:

– الآن تَمَّ كلُّ شيء.. لم يبقَ عليَّ سِوى إدارة هذا المحرك الصغير وتنطلق طائرتي في الجو مثل الصّقر..

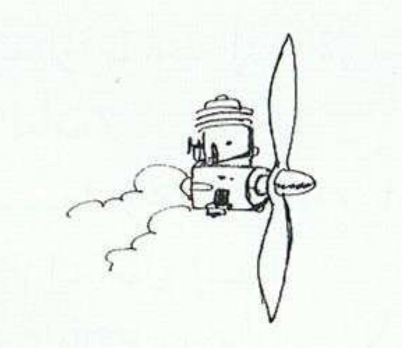
هل أنتما مستعدان؟

قال ممدوح:

– لن أصدق أن هذا الشيء يمكن أن يطير بالرَّغم من شكله الذي يشبه شكل الطائرة الحقيقية..

أجاب ربيع ضاحكاً:

– اِسمع يا عزيزي.. هذه طائرة حقيقية مئة بالمئة، ولكن حجمها صغير وهي تطير بنفس الطريقة التي تطير بها الطائرات الكبيرة. فإن لها جسماً وجناحيْن ومحركاً..



٢ - مضايقات بديع

وقال عمر:

- يا حضرة مهندس الطائرات.. تفضل.. هل يمكن أن ترينا التجربة؟ ونظر ربيع حوله في الحديقة ثم قال:

- أعتقد أننا بحاجة لمكان أوسع من هذا.. الطائرة تحتاج إلى مدرج لكي تطير، وكذلك طائرتي بحاجة إلى مدرج صغير..

قال عمر:

- ما رأيك لو نذهب إلى الأرض الخالية التي تجاور الحديقة العامة؟

- لكنها مسيَّجة ومحاطة بألواح الخشب من كل الجهات ولا يمكن الدخول إليها!

- دع هذه المسألة لي.. سأتدبر الأمر!

ونظر ربيع إلى ممدوح مستفهماً وقال ممدوح:

- لقد اكتشفنا ممراً يمكننا الدخول منه إلى الأرض الخالية!

- حسناً.. أنا موافق.. إنها أرض خالية لا تحوي أي شيء ما عدا الحَصى والأتربة، والدخول إليها لا يعتبر مخالفة أو اعتداءً... هيا بنا..

وانطلق الأصدقاء الثلاثة بحماسة نحو الحديقة العامة إلى أن وصلوا إلى جانب الأرض المهجورة التي تكلموا عنها.. وهناك على السياج كان يقف فتىً في الخامسة عشرة من عمره، ضخم الجسم قاسي الملامح..

قال عمر:

- يا للمشكلة.. انظروا هناك.. هذا هو بديع يقف مستنداً إلى السِّياج، إذا رآنا فسيسبب لنا الكثير من المتاعب..

- إنه مؤذٍ ومتعب - قال ربيع - لنبتعد من هنا قبل أن يرانا..

وقبل أن يستدير الأصدقاء عائدين محاولين تجنب الاحتكاك ببديع، وقع نظره عليهم، فبدت على وجهه

ابتسامة خبيثة وتقدم نحوهم - بجسده الضخم - بخطوات كبيرة ثم وقف أمامهم وقال:

- هه!!.. أرى أنكم هنا في الجوار.. هذه منطقتي ولا أحب أن أرى أحداً من الأولاد يلعب فيها، فأسرعوا بالابتعاد قبل أن أغضب!

وشعر ربيع بالغيظ.. إنه ينتظر فرصة تجربة هذه الطائرة منذ عدة أشهر، ولم يكن ينتظر أن يضايقهم هذا الشخص ليُفسد عليهم روعة هذه المناسبة، فما العمل؟!.. إنه لا يحب المشاكل ويبتعد عنها ما أمكنه ذلك، وفكر قليلاً ثم قرر أن يؤجل تجربة الطائرة ريثما يعثرون على أرض أخرى في غير هذا المكان وقال لرفاقه:

- حسناً أيها الأصدقاء.. لنبتعد من هنا.. نحن لا نريد المشاكل..

ونظر عمر إلى بديع وهو يصرُّ على أسنانه، وتمنى لو كان أكبرَ سناً وأضخمَ حجماً ليعطي بديعَ درساً في الأدب لا ينساه في حياته.. وصاح بديع:

- هيا.. ألا تتحركون.. ابتعدوا من هنا!..

واستدار الأصدقاء الثلاثة عائدين من حيث أتوا، وما كادوا يسيرون بضع خطوات حتى وقع نظر بديع على الطائرة الصغيرة التي كان ربيع يمسك بها، وكأنه لم يكتف بالإهانة التي سببها لهم أو ربما لأنه فوجىء بعدم ردهم عليه فأراد أن ينتقم، فأسرع الخُطى ووقف أمام ربيع ساداً عليه الطريق وقال:

- هل أنتم جبناء إلى هذا الحد حتى تسرعوا بالفرار مني.. أليس عندكم الشجاعة لمواجهتي؟

أجابه ربيع:

- اِسمع، نحن لا نحب المشاكل.. أردتنا أن نبتعد من هنا، ففعلنا.. ماذا تريد أيضاً؟

ونظر بديع بخبثٍ إلى الطائرة وقال:

- هذه الطائرة الصغيرة جميلة جداً.. هل أنت الذي صنعتها؟

- نعم.. أنا صنعتها بيديَّ..

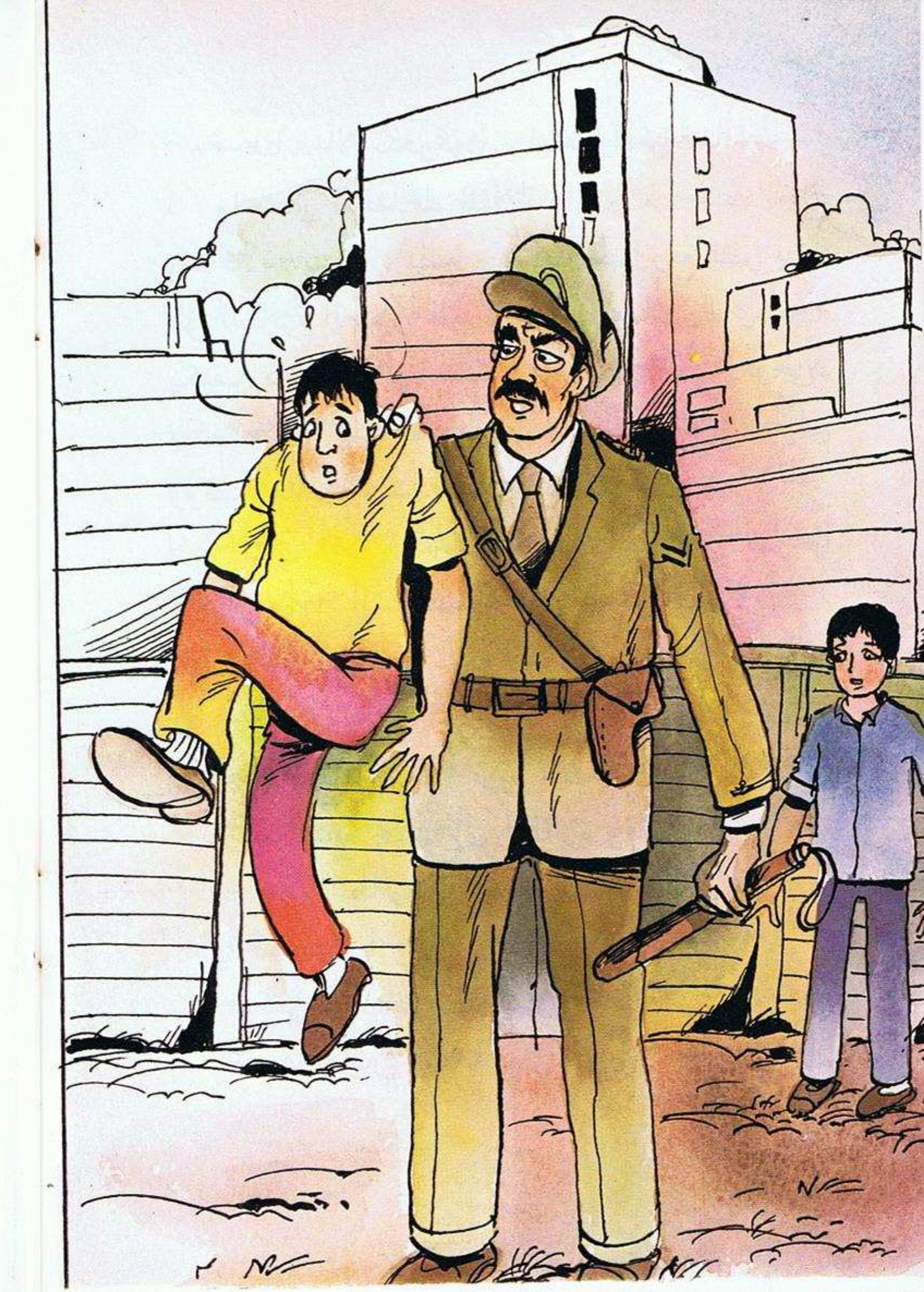
- وهل تطير؟..

- نعم.. وكنا نريد تجربتَها على هذه الأرض الخالية هناك عندما منعتنا أنت من الدخول إليها...

ومد بديع يده ممسكاً بالطائرة ثم وضعها على الأرض متظاهراً بأنه يريد تَفَحُّصَها، وفجأةً رفع قدمه محاولاً أن يدوس عليها ليحطمها، ولكن قبل أن تصل قدمه إليها شعر بيد قوية تمسك به من أذنه وتشده بعنف، وصاح بديع من شدة الألم، ونظر ليعرف من الذي فعل معه هذا، وسمع صوتاً يقول:

- أيها الشقي.. لقد سمعتُ حديثكم كلّه منذ البداية، وحمداً لله أنني كنت موجوداً لأنقذ هؤلاء الفتيان المهذبين منك أيها الأحمق الشرير.. هيا ابتعد عن هذه الطائرة وحذارِ أن تكرر فعلتك هذه مرةً ثانية.. هيا.. اِذهب..

كان هذا الشخص الشرطي أبا كمال، الذي صدف أنه كان يقف وراء الجدار، وقد استمع إلى حديث الأصدقاء مع بديع، فتدخل في الوقت المناسب ليمنع أذى بديع عنهم ثم قال وهو يفتل شاربيه:



– وأنتم يا أعزائي.. اسمعوا نصيحتي ولا تلعبوا في هـذا المكـان.. ففي المرة القادمـة قـد لا أكون موجوداً... اِلعبوا في أي مكان آخر..

وقال ممدوح:

– شكراً لك يا سيدي.. لكننا لم نأتِ إلى هنا لنلعب.. كنا نريد تجربة هذه الطائرة التي صنعها ربيع..

ونظر الشرطي بدهشة إلى الطائرة وقال:

– تقصد أنكم تريدون تجربتها في الطيران؟

وتدخل ربيع قائلاً:

– هذه الطائرة يا سيدي تحتاج إلى مدرج لكي تتمكن من الطيران، ولذلك اخترنا هذه الأرض الخالية لتجربتها، ولا يمكننا العثور على أرض خالية أخرى في هذه النواحي..

وحك الشرطي رأسه بحيرة وقال:

– اِسمع يا بني.. أنا لا أفهم في الطيران ولكني أعرف أن صناعة الطائرات ليست بالأمر اليسير..

فكيف تريد أن تقنعني بأنك صنعت هذه الطائرة؟

– إنها هوايتي يا سيدي.. لقد استعنت ببعض المجلات المتخصصة في هذا الشأن وبالفعل لم يكن الأمرُ سهلاً كما ذكرت!

وابتسم الشرطي وهو يُرَبِّتُ على رأس عمر قائلاً:

– يا لك من مهندس نابغ صغير.. إني أهنئك.. ولكن اسمـع مـني.. تجنبوا هـذا الفتى الشقي.. أفهمتم؟... لا أريده أن يسبب لكم الأذى.. هيا.. إلى اللقاء..

٣ – محاولة للتخلص من بديع

وانصرف الشرطي بينما توجه الأصدقاء الثلاثة نحو السور الخشبي وقال ممدوح:

– اتبعوني لأدُلَّكم على الممر.. إنه هناك.. في هذه الزاوية عدة أخشاب من السور يمكن رفعها وإعادتها إلى مكانها بسهولة.. هيا..

وتقدم ممدوح من المكان محاولاً رفع الأخشاب لكن ربيع أوقفه وقال:

- لدي شعور بأن بديع لن يتركنا نفعل ما نشاء وسينتقم منا..

اِسمع.. سألقي نظرة إلى داخل السور من هذا الثقب..

ووضع ربيع عينه على ثقب محفور في إحدى أخشاب السور ثم رفع رأسه فجأة وقال:

- ألم أقل لكم ! إنه في الداخل يختبىء وراء بعض الحشائش النابتة..

قال ممدوح: ماذا نفعل الآن؟ هل نلغي التجربة؟

وفكر ربيع قليلاً ثم انفرجت أساريره وقال:

- اسمعوا.. عندي فكرة عظيمة لا بد من تنفيذها.. إذا لم نعطِ بديع درساً لن ينساه في حياته فإنه سيواصل مضايقتنا ولن يدعنا نُجري التجارب على طائرتنا..

قال عمر:

- ماذا تقصد؟ هل تريدنا أن نشتبك معه؟.. إنه قويُّ البُنية وسيتغلب علينا..

- قال ربيع: لا لست أقصد ذلك.. نحن فتيان مؤدبون ولا نحب العنف.. إنما هناك طريقة أخرى..

وصاح عمر وممدوح معاً:

- وما هي؟

- سننصب لبديع فخًّا، فإذا حاول تخطي السور والدخول إلى الأرض سيفاجأ بما لم يكن يتوقعه.

قال ممدوح:

- وما هو نوع هذا الفَخ؟

- سأبني عدة أفخاخ بيديَّ مستعيناً بالأدوات اليدوية التي عندي.. وستساعداني أنتما في ذلك.. ما رأيكما؟

قال عمر:

فعلاً.. يا لك من مخترع صغير.. دائماً عندك حلول علمية لكل مشكلة.. ولكن قل لي.. كيف سنتمكن من التسلل إلى داخل السور دون أن يرانا بديع؟

– بديعٌ فتىً كسول وهو يستيقظ متأخراً، ولذلك إذا أتينا إلى هنا غداً باكراً في الساعة الخامسة صباحاً فإننا سنتمكن من بناء الأفخاخ بسرعة ثم نعود إلى بيوتنا، وفي اليوم التالي، أي بعد غد، نأتي أيضاً باكراً لنقوم بتجربة الطائرة، فإذا حاول بديع الدخول إلى الأرض فإنه سيفاجأ بما دبرناه له وسيكون ذلك درساً لن ينساه في حياته.. هل أنتم موافقون؟

ووافق الأصدقاء على اقتراح ربيع وانصرف كلٌّ منهم إلى منزله آملين أن يجتمعوا في اليوم التالي صباحاً في تمام الخامسة..

في صباح اليوم التالي توجَّه عمر وممدوح إلى منزل ربيع ليساعداه في حمل الأدوات التي يحتاج إليها، وكان ربيع قد أعدَّ «عُدَّتَه» وهي عبارة عن مطرقة وبعض المسامير ومنشار وحبال وبعض الأخشاب وضعها كلَّها في صندوقيْن، ثم جلب «**مخدةً**» عتيقة محشوة بالريش وعلبة دهان زيتي أسود، وقد استغرب الصديقان وجودَ الريش والدهان الزيتي فسأل عمر:

– ما لزوم الريش والدهان يا ربيع.. لا أعتقد بأنك ستقوم بطلاء السور الخشبي..

قال ربيع ضاحكاً:

– طبعاً لن أقوم بذلك.. لكني فكرت الليلة كثيراً.. كيف يمكن أن أردع بديع عن أعماله الشريرة وأجعله يكُفُّ عن مضايقتنا من غير أن أسبب له الأذى!.. وقد اهتديت إلى طريقة فعّالة تقوم بالمهمة على أكمل وجه.

وسأل ممدوح:

– وكيف ذلك؟

– حسناً.. اِسمعا.. لا بد أن بديع يعرف الممر السرِّي الذي يمكن الدخول منه إلى الأرض ولذلك سأنصب له الفخ على الشكل التالي:

بمجرد أن يرفعَ الأخشابَ ويدخل، يسقط عليه طبق الدِّهان، وإذا لم يرتدع وتقدم خطوتين أخريين فإنه سيسقط في حفرة مليئة بالريش، وطبعاً سيلتصق الريش بجسمه المبلل بالدِّهان الزيتي وسيصبح شكله

مضحكاً للغاية، وصدقوني بأنه سيكون مجبراً على الاستحمام أكثر من ثلاث أو أربع مرات ليزيل الدِّهان والريش الملتصقين به، مع أني أعرف شِدَّة كُرْهِهِ للاستحمام. وقال ممدوح: إننا لن ننزل به أذىً، لأن إنزال الأذى بالغير من عمل الأشقياء، ولكننا نريد أن نعطيه درساً لن ينساه في حياته.. ولكن قل لي.. كيف ستضع طبق الدِّهان حتى يسقط عليه؟

- هذه الأدوات التي معي ستتكفل بهذا العمل.. لا تشغل فكرك من هذه الناحية.. لقد صممت كلَّ شيء ورسمته على الورق ولم يبقَ سوى التنفيذ.. ما عليكما أنتما سوى أن تساعداني وتنفذا ما أقول لكما.. وطبعاً سنتعاون نحن الثلاثة في حفر الحفرة في الأرض وأنا سأقوم بعملية التمويه حتى تصبح الحفرة خَفِيَّةً عن الأنظار.

٤ - درس لا يُنسى

كانت الساعة قد قاربت الثامنة عندما انتهى الأصدقاء الثلاثة من عملهم، وكان كلُّ شيء قد تم بدِقةٍ وعناية بحيث لا يتمكن الناظر من ملاحظة أيِّ شيء غير طبيعي، ثم خرج الأصدقاء الثلاثة من الممر السِّري إلى الأرض الخالية. واتفقوا على اللِّقاء في اليوم التالي في تمام الساعة السادسة في نفس المكان، ثم انصرف كلٌّ منهم إلى بيته.

في اليوم التالي حمل ربيع طائرتَه وتوجَّه نحو السور، حيث وجد صديقيْه في انتظاره، فحيّاهما وقال:

- الآن يا أصدقائي أصبح بإمكاننا أن نجرب طائرتنا من غير أن نخشى مضايقة بديع.. هل أنتما مستعدان؟

قال عمر وهو ينظر بقلق إلى السور:

- نحن مستعدان.. لكني أنا لست مستعداً لأكون أول من يدخل.. ربما وقعت أنا في الفخ الذي نصبناه لغيرنا.

وضحك ربيع وهو يقول:

- وهل تعتقد أني غبيّ.. هيا.. اِتبعاني..

وتبعه الصديقان وهما ينظران إلى بعضهما بعضاً متسائلَيْن، ثم تقدم ربيع من الممر السري، ورفع إحدى الخشبتيْن قليلاً حيث ظهر طرفُ حبلٍ صغير، فسحبه إلى الخارج، ثم رفع القطعة الثانية ودخل من غير أن يحدث أيُّ شيء، ثم تبعه صديقاه ودخلا وراءه ثم أعادا الخشبَتين إلى مكانها، وقال ممدوح وهو ينظر بتعجب إلى المكان الذي دخلوا منه وقد تَدَلَّت بجانبه مجموعة من الأخشاب والحبال:

- لم أفهم!.. كيف دخلنا من غير أن يسقط طبقُ الدِّهان علينا؟

قال ربيع:

- لقد صممت الفَخ بحيث إذا سُحِبَ هذا الحبل زال مفعول الفخ، وكما تلاحظان فإن الحبل لا يُرى من الخارج لأنه مُخَبّأً تحت الخشبة ولن يتمكن بديع من رؤيته!

وصاح عمر فَرِحاً:

- أنت ذكيٌّ يا ربيع.. أنت ذكي.. الآن لننسَ بديع ومضايقاته ولننصرف لتجربة الطائرة.. هيا بنا.

وانطلق الجميع إلى وسط الأرض وهم يضحكون، واختار ربيع بقعةً مستوية ثم وضع طائرته على الأرض وقال:

- الآن سأبدأ تجْرِبَةَ الطائرة.. أولاً يجب إدارة المحرك..

ثم أمسك بخيط صغير كان يتدلّى من الطائرة وسحبه.. وفوراً دار المحرك مُحْدِثاً صوتاً مرتفعاً يشبه



« القرقعة » وقال وهو ما زال يمسك بالطائرة:

– الآن دار المحرك.. عندما أُفلت الطائرة من يديَّ من المفروض أن تندفع إلى الإمام ثم تطير.. لنرَ الآن.

وترك ربيع الطائرة تُفلت من أصابعه، وسُرعان ما اندفعت كالصَّاروخ ثم ارتفعت إلى الأعلى وطارت وصوتُ محركها الصغير يُزعِجِ الآذان..

هذه المرة نجحت التجْرِبة، وها هي طائرته الصغيرة تتمايل في الهواء وتدور وكأنها نَسْرٌ صغير.. وشعر ربيع بالفرحة تَغْمُرُ قلبَه وأخذ يقفز ويصيح وهو يقول:

– لقد نجحتْ.. لقد نجحت.. يا إلّهي.. إني لا أكاد أصدق!!. وكان صديقاه عمر وممدوح ما يزالان يتابعان الطائرة بنظرهما وهي تتمايل وتدور فوقهما، وقال عمر:

– أنظر كيف تطير في الفضاء وتتمايل كأنها طائرةٌ

حقيقيَّة.. كيف سنتمكن من إنزالها يا ربيع؟

أجاب ربيع:

- ستبقى تدور هكذا إلى أن ينفد وَقودُ محركها فتهبط.

- ستعلمنا كيف نصنع مثلَ هذه الطائرة يا ربيع.. أليس كذلك؟

- طبعاً.. طبعاً.. وسننظم مسابقات لنرى مَن الذي سيصنع أفضلَ طائرة!

وهنا قال ممدوح:

- لقد نسينا بديع في غَمْرَةِ فَرَحِنا.. أين هو الآن يا تُرى؟

ونظر ربيع إلى ساعته وقال:

- عقارب ساعتي تشير إلى الثامنة والنصف.. لِنُلْقِ نظرةً خارج السور.

واتجه عمر إلى السور بينما بقي ربيع وممدوح يتابعان الطائرة بنظرهما، وما هي إلا لحظات حتى عاد

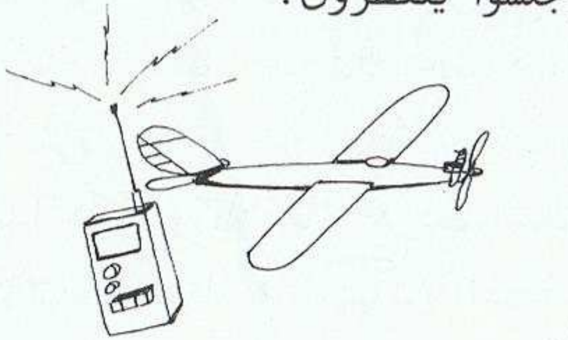
عمر وهو يَلْهَثُ وقال:

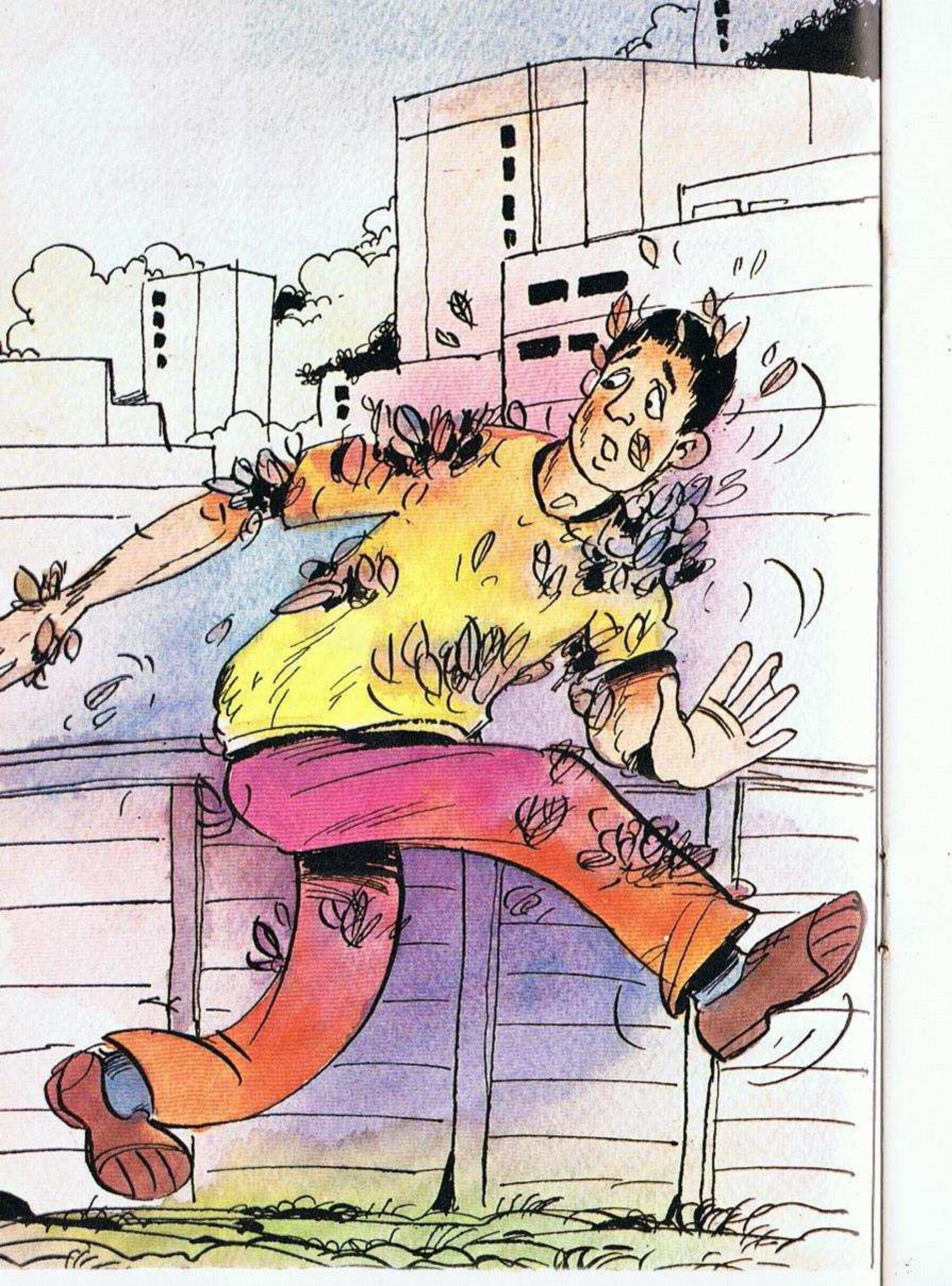
- المحتال الشقي.. إنه يقف وراء السور مباشرةً وأعتقد أنه يعرف أننا هنا فلا بد أن صوتَ محرك الطائرة قد لفت نظره..

في تلك اللحظة توقَّف صوتُ المحرك فجأةً وساد الصمت بينما أخذت الطائرة تتمايل وهي تهبط إلى أن استقرت أخيراً على الأرض وهنا قال ربيع:

- حسناً.. لقد قمنا بتجرِبتنا ونجحنا.. إني أتوقع دخول بديع بين لحظة وأخرى.. هيا بنا نختبىء وراء هذه التلة الصغيرة. فمن الأفضل ألا ندعه يرانا.

وأسرع الأصدقاء الثلاثة واختبأوا وراء التلة الترابية وجلسوا ينتظرون.





٥ - جزاءُ بديع

لم يَخِبْ ظنُ ربيع وصحَّ ما توقعه، إذ لم تمضِ لحظاتٌ حتى شاهدوا إحدى أخشاب السور الخشبي ترتفع، ثم برز رأس بديع من الفتحة وما كاد يضع قدمه وراء السور حتى سقط وعاءُ الدِّهان فوق رأسه فلطّخ ثيابه، وَتَسَمَّرَ بديع في مكانه وقد أصابه الذُّهول مما حدث له، وأخذ يتلفت حوله وهو يتمتم بحيرةٍ محاولاً مسح الطِّلاء عن وجهه حتى يتمكن من الرؤية.

وثارت ثائرتُه عندما تبين له أنه وقع في فخ وتقدم إلى الأمام وهو يَصيح، وما كاد يخطو خطوتين حتى وقع في الحفرة، ثم قام من سقطته وقد التصق به الريش فبدا شكله وكأنه طائرٌ غريب المنظر..

ولم يتمالك الأصدقاء أنفسَهم من الضحك فوضعوا

أيديهم فوق أفواههم محاذرين أن يَصْدُرَ منهم أيُّ صوت.

وقال ربيع هامساً:

- لو كان معي الآن آلة تصوير لالتقطت له صورة قد أفوز بها بالجائزة الأولى في معرض التصوير.

وقال ممدوح:

- هدوء.. لنرَ الآن ماذا سيفعل.

وكانت الدهشة قد عقدت لسان بديع فوقف حائراً مرتبكاً وتملكه الحزن والغضب وأسرع راكضاً، وخرج من فتحة السور وعيناه تدمعان من شدة حزنه.

ومد عمر يده إلى ربيع مصافحاً وهو يقول:

- لنهنىء أنفسَنا أيها الأصدقاء.. أعتقد أن بديع سيكُفُّ عن مضايقة غيره من الآن وصاعداً.

وأكمل ممدوح:

- وسيصبح بإمكاننا أن نأتي إلى هنا في أيِّ وقت نشاء لنجرب طائراتنا.

وقام الأصدقاء من مخبئهم ثم خرجوا من فتحة السور وهم يتضاحكون بسعادة ومرح.

٦ - طموح الفتى عمر

جلس عمر في الصالة بجانب أبيه الذي كان يتابع نشرة الأخبار المسائية في التلفزيون.. كان يبدو شارد الذِّهن على غير عادته، ولاحظ الوالد حالة ابنه غير الطبيعية فقال:

- ما بك يا عزيزي.. أراك تجلس صامتاً.. هل بك شيء؟

- أبي.. لقد قررت أن أصبح مهندساً!

ورفع الوالد حاجبيه متعجباً وقال وهو يضحك:

- هه..هه.. مازال أمامك وقتٌ طويل لتقرر ماذا تريد أن تصبح. فأنت لم تنلْ شهادتك الإعدادية بعد.

وصمت الوالد قليلاً وهو ينظر بطرف عينه إلى ابنه ثم قال:

- ولكن قل لي.. ما الذي دعاك لتقرر الآن هذا الأمر؟

قال عمر بخجل:

- عندما أكبر أريد أن أنشىء مصنعاً لصناعة الطائرات!

- هكذا مرة واحدة.. لا أعتقد أن الأمر بهذه السهولة.

أجاب عمر بحماسة:

- لقد تمكن صديقي ربيع من صناعة طائرة صغيرة جرَّبْناها اليوم.. وقد نجحت في الطيران.

- ومن كان يقودها؟

- لا أحد.. إنها طائرة نموذجية صغيرة طولها لا يتجاوز عشرين سنتيمتراً.

- آه.. فهمت.. الأمر هكذا يختلف.. لأن صناعة الطائرات الكبيرة أو أي نوع من الآلات يحتاج إلى التخصص يا بني..

- في الحقيقة يا أبي.. أعرف أن المهندسين هم الذين يتولون شؤون المصانع والمؤسسات الصناعية.. لكني لا أفهم بدقة ما هو الفرق بين العالِم والمهندس.. كلاهما يتخصص في الشؤون العلمية، لكن هل يعني هذا أن المهندس هو عالم؟

- كلا بالطبع يا بني.. إن العمل الذي يقوم به العالِم يختلف عن العمل الذي يقوم به المهندس.

- وكيف ذلك؟

- إن العالِم يقوم بالأبحاث العلمية ويضع الاسس الرئيسية للقيام بعمل ما، أما المهندس فهو الذي يقوم بعملية التنفيذ الفنية والعملية، ولكن هذا لا يمنع بأن يكون بعض العلماء مهندسين.

- وما هو عمل المهندس بالضبط؟

- هناك فروعٌ كثيرة للهندسة، فهناك المهندس الآلي (الميكانيكي)، والمهندس الإلكتروني، والمهندس المعماري وغيرُهم..

وفي مجال صناعة الطائرات مثلاً، فإن مجموعة كبيرة من المهندسين تتولى القيام بصناعة الطائرات:

فمهندس التصاميم، هو الذي يقوم بتصميم هيكل الطائرة وشكلها، ومهندسُ الميكانيك هو الذي يضع تصاميم المحركات ويشرف على تركيبها، ومهندسُ الإلكترونيات هو الذي يشرف على الأجهزة الإلكترونية التي توضع في الطائرة، وذلك بمساعدة عدد كبير من العمال الفَنيّين المتخصصين.

- وفي الزمن القديم.. عندما لم يكن استعمال الآلات منتشراً كما هو اليوم، هل كان يوجد مهندسون؟

- في الحقيقة يا بني، إن علمَ الهندسة علمٌ جديد لم يمضِ على نشوئه زمن طويل..

في القديم كانت الجامعات تُخَرِّجُ الأطباء والمحامين ومهندسي البناء.

أما علوم الهندسة الأخرى المتخصصة فلم تكن معروفة، وحتى يومنا هذا ما تزال فروع جديدة للهندسة تُنشأ تبعاً لتطور الصناعة والنهضة العلمية.

مثلاً: عندما قام الإنسان بغزو الفضاء، لم يكن هناك مهندسون متخصصون ببناء المركبات الفضائية، ولكن بعد أن تقدم الإنسان في هذا المضمار كثيراً، أصبح في الجامعات الكبرى فروع لتخريج المهندسين المتخصصين في علوم الفضاء والأقمار الصناعية والصواريخ، وكلما تقدم العلم تَشَعَّبَتْ علوم الهندسة وازدادت فروع التخصص فيها..

وأطرق عمر برأسه إلى الأرض قليلاً ثم قال وهو يتنهَّد وكأنه أزاح عن نفسه عبئًا ثقيلاً:

- أتعلم يا أبي.. لقد قررتُ أن أصبحَ مهندساً عندما أكبر، ولكن سأترك مسألة اختيار الفَرع الذي أنوي التخصص فيه إلى وقته!

وضحك الأب وهو يقول:

- بوركت يا بني.. إن بلادنا بحاجة إلى المهندسين الذين ستُبنى على أكتافهم نهضة الأمة في الصناعة.. والآن هيا.. دع هذا العبوس جانباً ولا تفكر كثيراً.. من الآن وإلى أن يحين وقت دخولك إلى الجامعة سيمضي وقت كثير فلا تُشغل بالك بهذا الأمر من الآن...

٧ - رحلة إلى الغابة

اتفق الأصدقاء الثلاثة على القيام برحلة مشياً على الأقدام إلى الغابة القريبة، وقد قرروا أن يُمضوا نهارَهم فيها بعيداً عن ضجيج المدينة، وخاصة بعد أن نجح ربيع في تجربة طائرته بعد عمل مُتْعِب استمر عدة أشهر.

ولذلك هيأ الأصدقاء أنفسَهم وحمل كلٌّ منهم زاده على ظهره، وانطلقوا متجهين نحو الغابة..

أمضى الأصدقاء عدة ساعات حتى ابتعدوا عن ضجيج السيارات المنطلقة على الطرقات، وكلما بَعُدَتْ بهم المسافة عن المدينة شعروا بالهدوء وراحة البال، وأخذت نسائم الهواء النقي تداعب أنوفهم..

ها هي مشارف الغابة تبدو، والمدينة أصبحت بعيدة، لا يبدو منها سوى ملامحَ باهتةٍ لأبنتيها الرماديةِ المختبئة وراء غمامةٍ كثيفة من الغبار والدخان. وقال ممدوح وهو يأخذ نَفَساً عميقاً:

- يا الله.. ما أجملَ الطبيعة.. لا يعرف الإنسان قيمتَها إلا عندما يبتعد عن المدينة.. حبذا لو كان لي كوخٌ صغيرٌ أعيش فيه، أسمع زقزقة العصافير، بدلاً من أبواق السيارات وأشم رائحة الزهور بدلاً من رائحة الدُّخان.

وقال عمر:

- يبدو لي أنك أصبحت شاعراً.. لا تنسَ أنه

ما زال أمامنا وقتٌ طويلٌ قبل أن نصل إلى الغابة، وإذا بقينا هنا نَنْظِمِ الأشعار فلن نصل إليها أبداً!

أجاب ممدوح محتجاً:

- وهل يضيرنا أن نكون على شيء من الشاعرية.. الجوُّ هنا يوحي بالشاعرية...

وتدخل ربيع قائلاً:

- كفاكما نقاشاً ولنواصل طريقنا.. لقد بدأت أشعر بالجوع وأحب أن أتناول غدائي في الغابة.. هيا بنا..

وانطلق الأصدقاء الثلاثة من جديد، ولكنهم هذه المرة أخذوا يسيرون صعوداً، فقد كانت الغابة على تلة قليلة الارتفاع، وقد استعان الأصدقاء بالعصِيِّ التي كانت معهم أثناء تَسَلُّقِهم.

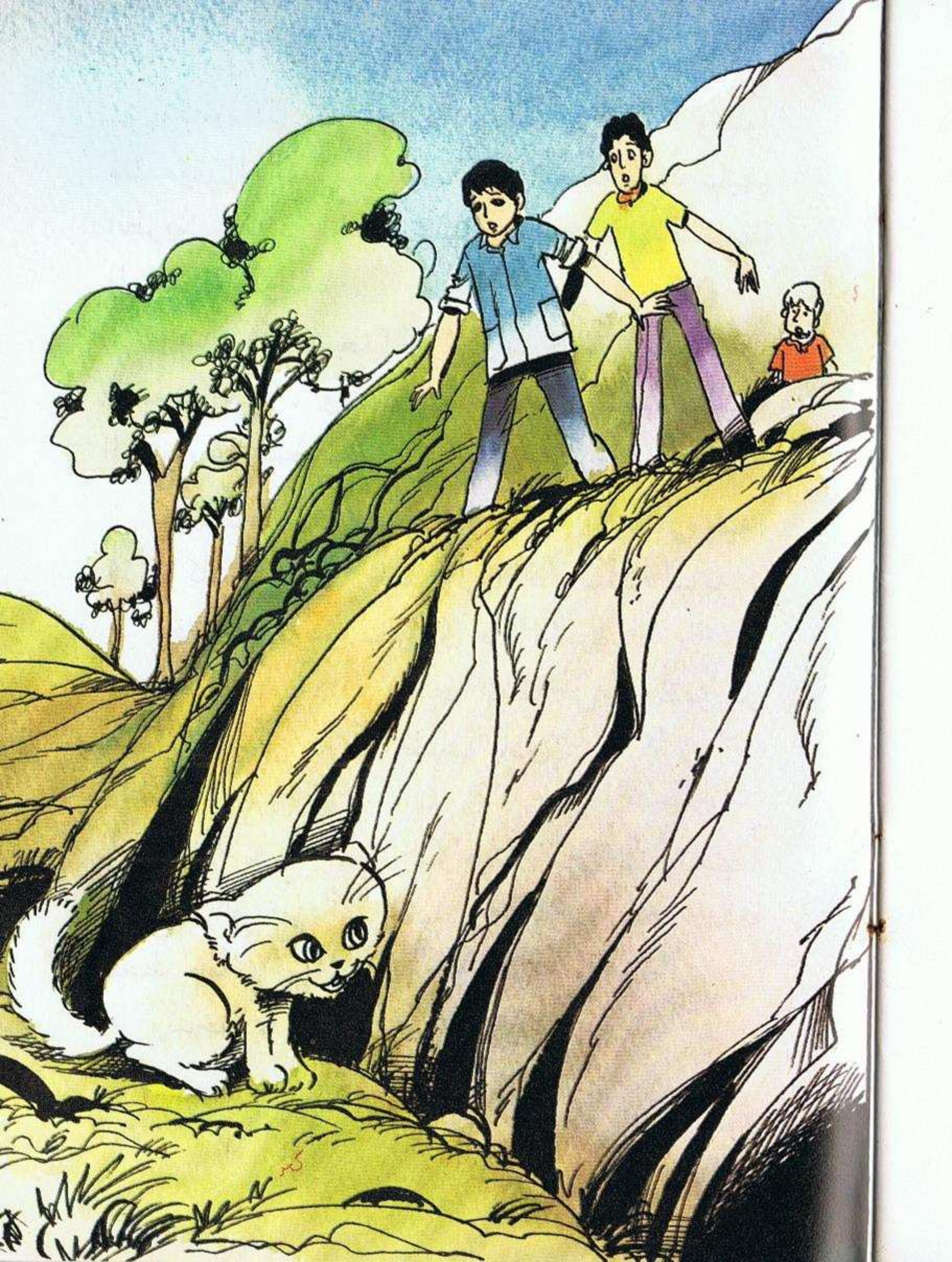
وهكذا بعد ساعة، وصلوا إلى وسط الغابة وحطوا رِحالَهم ثم تناولوا طعامهم وهم يلهون ويمرحون ثم استسلموا لإغفاءة قصيرة...

٨ - قطة تطلب النجدة

استيقظ ربيع وأخذ يتلفت حوله.. لقد خُيِّلَ إليه أنه سمع مواء قطة ولم يعرف أكان ذلك حُلماً رآه أثناء نومه أم أنه حقيقة، وأخذ يُنصت محاولاً معرفةَ الحقيقة.

فجأةً سمع المواء مرة أخرى. كان الصوت يبدو وكأنه صادرٌ من مكان بعيد، ولا يكاد يُسْمَع، لكنه كان مواءً يدل على الألم والحيرة، في بيت ربيع قطة، وهو يعرف كيف تموء القطة عندما تكون متألمة.

وقال في نفسه: «لا بد أن هذه القطة بحاجة للمساعدة..» ثم أيقظ صديقَيْه وقال لهما:



- هيا.. استيقظا أيها الكسولان.. هل تسمعان هذا المواء؟ أعتقد أنه توجد قطة في مكان ما في هذه الغابة وهي لا شك بحاجة للمساعدة..

وأخذ ممدوح يفرك عَيْنَيْه بكسلٍ وهو يقول:

- قطة.. ما لنا ولها.. دعنا ننام في هذا الجو اللطيف..

قال ربيع بشيءٍ من الغضب:

- لم نأتِ إلى هنا لننام.. لقد استرحنا وقتاً كافياً.. هناك قطة متألمة وقد تكون جريحة وبحاجة للمساعدة وواجبنا يقضي علينا أن نساعد أيَّ كائنٍ حي إذا كان بحاجة للمساعدة.. هيا.. لنقم ولنبدأ البحث عنها...

أخذ مواء القطة يشتد، وكأنها اشتمت رائحة الأصدقاء أو كأنها شعرت أن هناك من يريد مساعدتها.. وبدا صوتها واضحاً يأتي من اتجاه معين، واتجه الأصدقاء إلى مصدر الصوت..

وكانوا كلما تقدموا ازداد الصوت وضوحاً. وظلوا يتقدمون إلى أن وصلوا إلى حفرة عميقة سدّت عليهم الطريق.. كانت الحفرة عميقةً وعريضة وممتدة أمامَهم إلى مسافة طويلة.

وهناك، في وسط الحفرة وعلى عمق ما يقارب العشرة أمتار، وقفت قطة صغيرة شقراء طويلة الريش، على صخرةٍ صغيرة ناتئة وهي ترتجفُ رُعباً..

كان قاع الحفرة عميقاً لا يمكنها أن تقفز إليه، كذلك كان لا يمكنها القفز إلى الأعلى لبُعد المسافة.

وقال عمر وهو ينظر إلى قاع الحفرة:

- غريب.. كيف تمكنت القطة من أن تقفز كل هذه المسافة من غير أن تصاب بأذى؟

قال ربيع:

- ألا تسمع بالمثل الذي يقول إن للقطة سبعةَ أرواح.. لو قفز أيُّ حيوان آخر كل هذه المسافة لتحطم ومات فوراً..

وتَدَخَّلَ ممدوح:

- أعتقد أن القطةَ حيوانٌ قويٌ خفيف الحركة وقد خُلق للقفز ولا علاقة للأرواح السبعة بهذا الأمر.. إن لله في خلقه شؤوناً..

وقال ربيع:

- الآن علينا أن نجد طريقة لإنقاذ هذه القطة المسكينة.. هل لدى أحدكما اقتراح؟

قال عمر:

- لنرمِ لها حبلاً تتعلق به!

- المسافة بعيدة ولن يصل الحبل إليها..

قال ممدوح:

لو كنا في المدينة لجلبنا من أجلها رافعةً ترفعها وينتهي الأمر..

وصمت الجميع يفكرون، بينما ازداد مواء القطة عنفاً وكأنها فهمت بأن هؤلاء الفتيان الثلاثة يفكرون في إنقاذها.. وفجأة صاح ربيع:

- الرافعة.. كما قلت يا ممدوح.. يلزمنا رافعة!!

وقال ممدوح مازحاً:

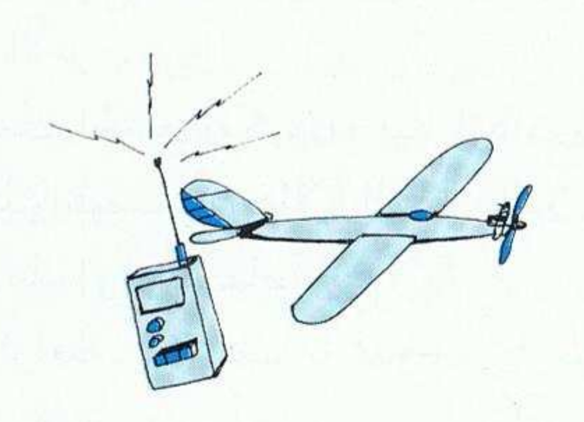
- حسناً.. انتظروني.. سأذهب إلى المدينة وأعود برافعة!

قال ربيع:

- لست أمزح يا ممدوح، سأصنع رافعة لننقذ بها القطة!

ونظر إليه صديقاه محاولين معرفة ما إذا كان جاداً في كلامه، وأكمل ربيع كلامه:

يوجد كثيرٌ من الأخشاب في هذه المنطقة. ومعنا حبال وبعض الأدوات.. انتظراني.. سأضع تصميماً لرافعة وأعود إليكما خلال لحظة..



٩ - إِنقاذ القطة

وتناول ربيع حقيبة الزاد وأخرج منها قلماً وورقة، ثم جلس على الأرض وأخذ يرسم بعض الخطوط والدوائر المتشابكة، ثم حمل الورقة وقدَّمها إلى صديقَيْهِ قائلاً:

- ها هي الرافعة.. ما علينا الآن سوى تنفيذِها!..

وأمسك عمر بالورقة متفحصاً ثم قال:

- هل تريد أن تقول لي بأن هذه «الخرطشةَ» رافعة؟ لم أفهم منها شيئاً..

- إنها تصميم الرافعة أيها الذَّكيّ.. اِسمع.. لن أطلب منكما شيئاً سوى أن تساعداني أنت وممدوح..

هل توافقان؟

وقلب الاثنان شفتيْها بٱسْتِسْلامٍ وقال ممدوح:

- حسناً.. هيا بنا إلى العمل.. لنرى هذه الرافعة كيف ستكون بعد تنفيذها...

وباشر الأصدقاء الثلاثة في جمع بعض الأخشاب بينما انصرف ربيع إلى تهذيبها وتقليمها بواسطة سكين كانت معه، ثم أخذ يربطها ببعضها بعضاً بواسطة الحبال، وبعد نصف ساعة من العمل ظهرَ شكلٌ من الأخشاب المترابطة مع بعضها بعضاً بطريقة خاصة، وقال ممدوح:

- لا أجد أن شكلَها يشبه شكل الرافعة !..

ضحك ربيع وقال:

- معك حق.. لكنها من المؤكد ستؤدي دور الرافعة.. هيا ساعداني في ربط طرفها إلى هذه الشجرة رَبْطاً متيناً..

وتعاون الأصدقاء الثلاثة في ربط الرافعة التي تدلّى طرفها فوق الحفرة، ثم أمسك ربيع بطرف

أحد الحبال وأخذ يسحب..

وبطريقة عجيبة، أخذت مجموعة الأخشاب تمتد وتستطيل إلى أن وصلت إلى الطرف الآخر من الحفرة، ثم سحب ربيع حبلاً آخر فتدلّى من الرافعة غصن غليظ أخذ ينحدر إلى أن وصل إلى المكان الذي كانت فيه القطة، وسُرعان ما قفزت متعلقة به بمخالبها الحادَّة، ثم تسلقت الغصنَ إلى أن وصلت إلى الأعلى، فقفزت إلى الأرض وأخذت تموء بلطف.

وأخذت تلامس وتلتصق بساق ربيع علامة العِرْفان بالجميل، وأمسكها ربيع وأخذ يُربِّتُ على رأسها وقال:

- إنها قطة صغيرة لطيفة.. سآخذها معي إلى البيت وأضعها في الحديقة..

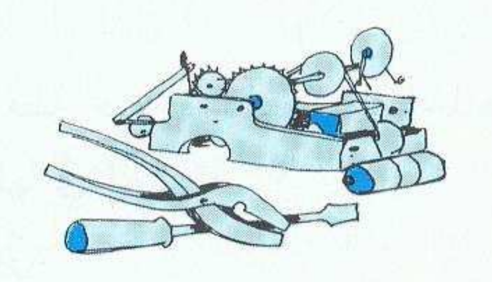
وقال عمر:

- والآن وقد تمت عملية الإنقاذ.. هل يمكننا أن نباشر طريق العودة إلى المدينة..

قال ربيع:

- معك حق.. يجب أن نصل إلى المدينة قبل حلول الظلام..

وأخذ الأصدقاء الثلاثة في طريق العودة وهم يشعرون بالارتياح لأن رحلتهم لم تكن من غير فائدة، فقد أنقذوا مخلوقاً صغيراً من الموت بفضل ذكاء ربيع المخترع الصغير ونباهته.





دار العلم للملايين